برص في البيت

أو

الأمور التي تؤثر على صفة "كنيسة محلية" كمكان حضور المسيح

خطاب إلى صديق ردًا على تساؤلاته

عن انقسام الإخوة المرحبين عام 1846- 1848

الطبعة الثانية مراجعة بدقة

لندن

و. ب. ميدان باترنوستر

تعريب مراد فارس

الطبعة لا تذكر اسم الكاتب، ولكنه معروف أنه الأخ جورج أوين

السعر بيني واحد

ما يقابل حوالي عشرين قرشًا مصريًّا بأسعار اليوم 15 مارس 2021

هذه النسخة هي الطبعة العربية الأولى وتوزع إلكترونيًّا أو بدون مقابل

ما بين العلامتين مضاف بمعرفة المترجم

برص في البيت

مهما كان اللوم الذي يلحق بطريقة أو بأخرى بالمدعوين "الإخوة المنغلقين Exclusive Brethren" بالارتباط بتفاصيل الانفصال، إلا أنه ليست مبالغة إن قلنا إن الانقسام في حد ذاته كان رحمة عظيمة من الله نحو كل كنيسته، ونحو كل مؤمن بالرب يسوع المسيح فرديًا، مهما كان يلقب نفسه، وبغض النظر عما يفتكر به عن هذا الأمر. فقد كان هذا الانقسام هو الوسيلة التي استخدمها الله - على الأقل للوقت الحاضر - لحفظ حقائق كثيرة مهمة في كلمة الله، ولحفظ وحدانية الروح وحق وحدة جسد المسيح على وجه الخصوص. وبالرغم من كل ما كان في طريق الفشل من ناحية، والمقاومة من الناحية الأخرى، فإن هذه الشهادة قد سَر الله أن يباركها لتقود كثيرًا من النفوس التي تغيرت حديثًا إلى طريق الإيمان والطاعة بالنسبة للشركة، كما إلى إنقاذ كثيرين آخرين من شعبه من الصورة الخارجية الزائفة لأخطاء البابوية والطائفية التي تقست مع الوقت.

عندما يبدأ عمل الشر فيما بين شعب الله المجتمعين إلى اسم الرب يسوع، فينبغي أن يفعلوا أحد أمرين: فإما أن يعزلوا الشر من بينهم، أو أن الأمناء ينفصلون عمن لا يعزلونه. أما من يستمر في الشركة مع كنيسة فيها الشر، سواء كان شرًا تعليميًا أو أدبيًا، وهم يعلمون بوجوده ويسمحون به بلا إدانة، فإنه يتوحد مع هذا الشر، مشتركًا في إهانة المسيح، وإحزان وإطفاء الروح القدس.

إن الانقسام بين المدعوين "الإخوة" بدأ أولا في عام 1846، **لأن البعض أرادوا أن يُدخِلوا ويؤسسوا نظامًا إكليروسيًا بيننا، وكذلك بعض تعاليم خاصة لها خط معين بقصد مبيَّت أن يسود بيننا.** ولكن لأجل الحق، ولأجل الضمير، رفضنا

كل إكليروسية باعتبارها مضادة لحق الجسد الواحد والروح الواحد، وكإنكار لكهنوت المؤمنين العام، وحضور المسيح والروح القدس في الكنيسة، لتوجيه المواهب والخدمة للبنيان الصحيح حسب كلمته النقية، بالحكمة وبالقوة وبالصلاح (1كو12: 4، 42؛ 1كو13، 14). كما رفضنا كل تعليم طائفي ليكون لنا كل ما في كلمة الله على اتساعها من الحق، وما فيها من طعام لنا، فلم نسمح لهذه الأمور أن تدخل بيننا. فلو أننا سمحنا بها لكنا فقط أضفنا طائفة جديدة إلى عدد الطوائف الكثيرة الموجودة، والتي خرجنا منها قبلًا. **من هنا حدث انفصال لمن تمسكوا بالحق كما تعلموه من الله من كلمته، عن أولئك الذين أصروا على أن يقلبوا وضعنا، بالرغم من توسلاتنا إليهم وطول الأناة التي أبديناها.**

بعد شهور من هذا، تم اكتشاف أن العنصر الأساسي في حركة التراجع التي أجبرت على الانقسام الذي سبق شرحه، قد سقط في تعليم شرير يختص بالرب يسوع المسيح، فقد أسس نظامًا صريحًا، ومن خلاله نشر في إنجلترا وكل مكان آخر تعليمًا يتناقض مع كلمة الله عن الرب يسوع المسيح، بل تعليمًا في طبيعته يثير الاشمئزاز، مما يجعل كل قارئ تقي عنده تقدير لمجده، وله عواطف مقدسة نحوه يرتعد جدًا، ويضرب على خده لو أنني ذكرت هنا شيئًا مما قيل. هذا كان من رحمة الله، أنه أنهض البعض لينفصلوا أيضًا، بعد أن كانوا يظنون أن السبب الأول لا يستلزم خطوة كهذه، ومن هنا بدأ الانفصال في وضعه الحالي.

ولكن كنيسة معينة في غرب إنجلترا، معروف عنها صلتها بهذا الأمر المؤسف الذي لا يوصف، تبنت ما يمكن أن يوصف بأنه "طريق الاعتدال"، فقد قررت أن تعترف كذلك، مثل كل كنائس الله، بالاجتماع الذي فيه هذا الشخص الذي أدخل التعليم الشرير، والذي جعله محور خدمته التعليمية، والذي لأجل خاطر اسم الرب

أوصدت كنائس الله الباب أمامه وأمام كل من وهو على علم بهذا، وبإرادته يرتبط به في كسر الخبز.

والكنيسة المحلية التي أشرت إليها لم تكتفِ بإعلان أنفسهم كمنفتحين ليقبلوا على المائدة أفرادًا من ذلك الاجتماع الذي فسد، أو الاعتراف بالشركة بمعلم الشر، واقفين عند حد القول بأن ما صرح به لا يتفق مع المكتوب، بل رفضوا عزل البعض الذين بينهم، وعندهم هذا التجديف. أما الاجتماعات التي رفضت هذا "الاعتدال (!!)" في أمر يمس مجد شخص الرب يسوع المسيح وكفاية عمله في الجلجثة فقد سميت بـ "المنغلقين Exclusive" على سبيل التحقير. وبالرغم من أنه أمر مضاد لكلمة الله بصفة مطلقة أن يشغل أولاد الله أرضية معينة، أو أن يوصفوا باسم لا يضم كل أولاد الله، إلا أنني أظن أننا لسنا في حاجة لأن نخجل من هذا الوصف إن أصر الناس عليه، على أن يكون مفهومًا ومعترفًا من كل منا بما هو الذي نحن نسعى لأن نغلق الباب أمامه.

منذ ذلك الوقت، تعاظمت صفوف "الإخوة المنفتحين" بانضمام قديسين أتقياء من الأنظمة المحيطة، الذين إذ هم يجهلون الخلفية الحقيقية للانقسام، أو ربما لا يعلمون بالانقسام نفسه، ظلوا تحت التعتيم من جهة هذا الأمر، لأنه، للأسف، **هذه سياسة خاطئة لكثيرين من المقاومين النشطاء، أن يخفوا التعليم الشرير، وأن يظهروا خلفية للانقسام على أنه مجرد خلاف شخصي حول نقاط غير ذات أهمية.** كذلك كثيرون من المسيحيين الأتقياء، الذين لم يسبق أن تعلموا الحكم على الأنظمة الدينية على هذا النحو في ضوء الكلمة، ولكن ضمائرهم انزعجت من الخرافات وعدم الأمانة التي صارت تتعاظم سريعًا بينهم في السنوات الأخيرة، ولم يعودوا قادرين على أن يغمضوا أعينهم عن هذه الشرور، وجدوا ملاذًا مناسبًا بين

الإخوة المتهاونين أو المحايدين. فهم لم يعتادوا أبدًا يدربوا أنفسهم في طاعة الحق، فيما هو أبعد مما يتعلق بخلاص النفس والتقوى الفردية، غير أنهم ليسوا على استعداد لأن يتعرَّفوا على مسؤولياتهم الشخصية، ولا مسؤوليات كنيسة الله كذلك، ربما باستثناء حالات معينة عندما يكون هناك شر أدبي فاضح. بل هم أيضًا لا يعرفون ما هي كنيسة الله، لا دعوتها ولا شهادتها، مفضلين الاكتفاء بالأمور الأفضل مما تركوه، كما يقولون، والذين بينهم يستطيعون أن ينقلوا طائفيتهم، عن أن يكونوا في شركة مع من عندهم التأديب قاطع كما هو الحال بيننا.

ولكن نداءً صارخًا ارتفع ضد ما يقال عنه "عزل اجتماع بأكمله"، بدعوى أن الإجراء والوضع الذي اتخذه من يدعونهم "الإخوة المنغلقين" أضر بقديسين وروعهم، **إذ أن إيمانهم هو بأنه يُعترف بالاجتماع طالما أنه إلى اسم الرب فقط، حتى وإن كان هناك شر تعليمي أو أدبي معروف ومسموح به فيه، بغض النظر عن البراهين الكثيرة ضد هذا الفكر**. وقد كان **لبعض الأسماء المرموقة عملها المؤثر في إقناع البعض بالاكتفاء بالسلبية أو الموقف المعتدل**. وهم يخشون من أن يُظن أنهم يدينون هذا الأخ وذاك الأخ. ولكن هذا ببساطة يجعل المسيح خادمًا للخطية، ويناقض ترتيب الله، الذي يضع الحكمة "أَوَّلًا طَاهِرَةٌ، ثُمَّ مُسَالِمَةٌ.."، وكأن التعليم المهين لقدوس الله غير مدان في الكتاب الذي يعلنه لقلب شعبه، ويجعل التعامل معه كأمر بلا أهمية، لأجل أشخاص معينين ذوي صيت حسن من جهة الإخلاص والتكريس قد تعلقوا بهذا الفكر. ولكن الرب في صلاحه قاد كثيرين إلى النور الكامل. ولا يجوز لنا أن نقبل أن الشر المعروف يكون مسموحًا له في كنيسة محلية أن يمضي دون إدانة، ولا أن يسمح به في الأفراد. وتحمل لنا رسالتي كورنثوس تأكيدًا وشهادة إلهية واضحة لا تقبل الجدل ضد مثل هذا الفكر.

حتى في إسرائيل أيضًا كان هذا الأمر غير مسموح به مطلقًا، فقد كانوا أمة مختارة من الله ليكونوا خاصة له، وموضع سكناه على الأرض. وبينما كانت كل مدينة تقوم بواجبها هكذا، كانت تشكل جزءًا من تكامل للمجموع، ولم تكن مستقلة مطلقًا عن المدن المجاورة لها، حتى لا تكون مسؤولة أمام الله في حفظ كرامته في أي منها. فإن بلغها خبر عن فساد إحداها، فلا مهرب من المسؤولية، **ولا يجوز أن يقال: "هذا لا يخصنا، فنحن أنفسنا خالون من الفساد، والأفضل ألا نزعج أنفسنا بشؤون الآخرين**. سنشتري منهم ونبيع لهم، وتكون لنا علاقات اجتماعية معهم مثلما لنا مع غيرهم". كلا، لا شيء من هذا القبيل، وإنما كان ينبغي أن يفحص الأمر ويفتشون عنه باجتهاد. فإن كان الخبر صحيحًا فهناك حكم ينبغي أن يتم، حتى ولو بلغ إلى أن تحرَّم المدينة، وكل سكانها مع بهائمها. "تُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ". فالأمر يخص مجد الله وسط شعبه، فلا ينبغي أن يتم التعامل معه بلا مبالاة، فالجميع مشمولون في مسؤولية الحكم ونزع الشر (تث13: 12-18).

ولكن الآن أسلحة محاربتنا أسلحة حقيقية وليست جسدية كما كان لإسرائيل: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ". ولكنه درس هام نتعلمه هنا عما يليق بكنيسة الله. ومن ذا الذي يجرؤ على القول بان مجد المسيح في الكنيسة يمكن أن نصونه بغيرة أقل قداسة، وأن الشر ينزع منها بهوادة ألطف مما كان في الأحكام التي لإسرائيل؟ هل نقاء التعليم في الجسد السماوي أقل أهمية منه في المملكة الأرضية؟ حاشا. إن وحدة الكنيسة هي أعمق من وحدة إسرائيل، لذلك فمن الواجب أن نفهم هذا الأمر عظيم الأهمية. إن الارتباطات الإنسانية قد توجد، ويعمل كل واحد من أطرافها مستقلًا عن الأخر، ولكن كنيسة الله ليست علاقة

إنسانية، والكنيسة المحلية الواحدة ليست مستقلة عن الأخرى. اقرأ أيضًا لاويين14، حيث تجد البرص صورة للخطية، فهو مرض مفسد ينجِّس، ولا علاج له، يصيب الإنسان وثيابه، أي حالة الفرد وصفاته الظاهرة. ولكنه كذلك يصيب البيت. ونلاحظ أنه لا يقال مطلقًا إن الله "يجعل الضربة" في إنسان، ولا في ثوب، أما عن البيت فيقول: "مَتَى جِئْتُمْ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي أُعْطِيكُمْ مُلْكًا، **وَجَعَلْتُ ضَرْبَةَ** بَرَصٍ فِي بَيْتٍ فِي أَرْضِ مُلْكِكُمْ..." (ع34). من هذا نتعلم أنه متى كانت الخطية تعمل في أحد القديسين، وظهرت في مسلكه، ولم يُحكم عليها، فإن الرب يكشفها أمام الكنيسة، كما فعل في كورنثوس بالشرور الرهيبة التي كشفها برسالة بولس الرسول الأولى إليهم، ويدعو الكنيسة لأن تحكم على الشر، وتعزله منها بأن تعزل الخبيث من بينهم، **أي تقتلع الحجر المضروب بالبرص. فإن لم يمكن أن البيت يتطهر بهذا من الشر، فالبيت ذاته يُهدم.**

إن الكنيسة المحلية تنتهي من أن تكون كنيسة الله إن لم تطهر نفسها. ويضع بولس الكورنثيين تحت الاختبار مع الحجْز، ولم يذهب إلى هناك مرة أخرى، حتى عملت الكنيسة لأجل الله في هذا الأمر، فتصرفوا هكذا وبرأوا أنفسهم، فتعزى بولس وتحررت روحه، وانفتح فمه، واتسع قلبه من نحوهم (2كو6: 11). وترى غيرتهم فيما فعلوا بتفصيل ومدح في الأصحاح السابع. وفي العدد 11 منه على وجه الخصوص، نجد تقريرًا مؤثرًا: "فَإِنَّهُ هُوَذَا حُزْنُكُمْ هذَا عَيْنُهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ، كَمْ أَنْشَأَ فِيكُمْ: مِنَ الاجْتِهَادِ، بَلْ مِنَ الاحْتِجَاجِ، بَلْ مِنَ الْغَيْظِ، بَلْ مِنَ الْخَوْفِ، بَلْ مِنَ الشَّوْقِ، بَلْ مِنَ الْغَيْرَةِ، بَلْ مِنَ الانْتِقَامِ. فِي كُلِّ شَيْءٍ أَظْهَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنَّكُمْ أَبْرِيَاءُ فِي هذَا الأَمْرِ". ياله تقشيرًا وتطهيرًا للحوائط! وهذه الأمور حدثت مثالًا لنا، ولكن

بكل حزن نقول: لقد بردت كثيرًا غيرة كنائس الله للنقاء، ولم يعد القديسون يرغبون في أن يتصرفوا هكذا لئلا يقلقوا شركتهم المريحة الهانئة.

إن الروح القاسية التي تسر بأن تدين من حولها، ينبغي أن تدان بكل تأكيد، فهي لا تتفق مع المسيح، فهو يرفض هذا (مت7: 1-5). ولكن هذا لا يعني التراخي، لأن حضور الله في كنيسته هو أقدس أمر، ويظهر ذلك في التأديب عندما نسمح بالشر. "مِنْ أَجْلِ هذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ" (1كو11: 30)

هكذا فالكنيسة المحلية تنتهي من أن تكون كنيسة الله إذا رفضت أن تعزل الشر أيضًا، ولو كان كل فرد من الذين يكونونها بالتأكيد هو مؤمن حقيقي بالرب يسوع المسيح.

إنك على حق عندما تقول إنه طبقًا لترتيب العهد الجديد، ليس لنا من يشغلون وظائف رسمية، والسبب البسيط هو أنه ليس بيننا الرسول بولس، ولا أي مفوض منه مثل تيموثاوس أو تيطس ليعيِّنوهم. فهل مثل هؤلاء عند البابوية؟ أو في الكنيسة الأسقفية، أو في الكنيسة البروتستانتية؟ كذلك نجد أن هذه التعينات اقتصرت على وظيفتي الأساقفة والشمامسة، ولكن حتى وإن لم يكن لنا تعيين لهذه الوظائف، فإن لدينا رجال موهوبون من الله، وموهبتهم تفسح المجال لهم ليمارسوا مهام هاتين الوظيفتين. وبالتأكيد هي رحمة عظيمة من الله أنه لم يعط سلطانًا متسلسلًا للتعيين الرسمي لهذه الوظائف وأنواع الخِدم. انظر إلى ما أدى إليه سلطان كهذا في البابوية أو في الكنيسة الأسقفية والبروتستانتية. فالوظائف في هذه الأنظمة أخذت مكان الروح القدس، فلم يعد هناك مجال للخدمة الروحية حسب ترتيب العهد الجديد كما تُعلمها رسالة كورنثوس الأولى والأصحاح الثاني عشر. أين تجد شيئًا ذا صلة بما تعلم به هذه الرسالة في الأصحاحات الثاني عشر

والرابع عشر سوى بين الإخوة المحتقرين؟ إن ما يسود بين تلك الأنظمة لا يمكن أن يكون متوافقًا هذه الأصحاحات، إلا إذا بدلنا الكلام في الأصحاح الثاني عشر منها ونقول:"*أنواع مواهب موجودة، وتدبير وأعمال، ولكن الخادم واحد*" (1كو12: 15-16).

إننا لا يمكننا أن نفتخر، كما لو كنا بلا خطأ، فهذا يرفضه الله، ولكن الله لا يخزينا أبدًا، ونحن نستطيع أن نتكلم حسنًا عنه، لأن اعترافنا بالرب في وسطنا كالمصدر والقوة بالروح القدس لكل خدمة حقيقية وكل ترتيب صحيح لا يدعنا دون حضورهما. منذ عدة سنوات كان واحد يطلب الشركة معنا، فسألته: "لماذا تطلب الشركة معنا؟" فأجابني قائلًا: "لأنه في اجتماعكم صباح الأحد رأيت ما وجدته في الكتاب خلال مدة الست عشرة سنة الماضية، لكنني لم أصدق أنه يحدث في أي مكان. هنا رأيت مئتين وخمسين شخصًا بلا رئيس ولا قائد منظور ليدير، ومع ذلك فالترتيب الدقيق محفوظ، وكلمة الله تُشرح كما لم أسمع مطلقًا من قبل!". إلا أنه يحدث بيننا الآن، كما حدث آنذاك، تشويش، ولكن ليس لنا من نتطلع إليه سوى الرب، ونحن نصرخ إليه لكي يخلصنا، وقد تدخل بالفعل وأظهر نعمته وقوته بطريقة غنية للغاية.

وتقول إنك - إن لم تكن مخطئًا - أننا لا نقول عنا إننا كنائس، والحقيقة إننا لا نجد في العهد الجديد أية كنائس، وإنما فقط جسدًا واحدًا. والانفصال بسبب التباعد الجغرافي يستلزم أن الاجتماعات في مختلف الأماكن في العالم تتصرف عمليًا لأجل نفسها، ولكن في اعتراف بالوحدانية والمسؤوليات التي تتعلق بهذه الحقيقة العظمى، حقيقة وحدة جسد المسيح. ونحن لا نقرأ أبدًا عن "كنائس" في أورشليم، بالرغم من أنه كان فيها الآلاف من المؤمنين الذين يكسرون الخبز هناك،

وهذا بلا شك كان في أماكن متعددة، لأنه أين المكان الذي يتسع لهذا العدد؟ كذلك لا نقرأ عن كنائس في أفسس، غير أننا نقرأ عن الكنائس في آسيا، وعن كنائس اليهودية، و... الخ، لأن هذه كانت مقاطعات واسعة لبلاد، جعلت التعاون بين الكنائس عمليًّا مستحيلًا، ولكنها لم تكن طوائف ولا كوَّنت اتحادات مختلفة، وإنما كان الروح القدس هو المصدر الذي كوَّن الوحدة الشاملة للجميع، كما كان قوة هذه الوحدة العملية كما هو الحال دائمًا، وكما ينبغي أن يكون في كنائس الله. كذلك نجد أن وحدة الكنائس السبع التي في آسيا مؤيدة من الله، إذ أن سفر الرؤيا ذاته هو رسالة عامة موجهة إليها جميعها معًا (رؤ1: 4) في حين أنها تحوي رسالة موجزة إلى كل منها على حدة (رؤ2، 3) بناء على حالة كل منها في ذلك الوقت، ولكنها تعني الجميع صراحة، إذ في كل رسالة خاصة منها يقول: "مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ <u>لِلْكَنَائِسِ</u>". **فليس لغير الظروف الجغر افية يبيح العهد الجديد فكرة تعدد الكنائس**، وبهذا المفهوم فقط نحن نسلك. فنحن نتمسك بأن كنيسة الله هي أي اجتماع، ولو كان من اثنين أو ثلاثة، يُجمعون إلى اسم الرب، حيث لا يسود الترتيب البشري فوق قواعد ترتيب الرب، بل حيث هو يكون صاحب الحق الأوحد في أن يستخدم في حكمته بحرية بالروح القدس مختلف المواهب حسب الحاجة، لإطعام شعبه بالكلمة المكتوبة. هذا أمر أساسي أن القديسين ينبغي أن يجتمعوا هكذا، وإلا فلا تكون الكنيسة كنيسة الله. قد تكون "كنيسة شعب الله" ولكن البون شاسع بين هذه وتلك. لنفترض اجتماعًا من مؤمنين لا شك في إيمانهم بالرب يسوع المسيح، يجتمعون على أساس الماسونية، أو على أساس مبدأ منع المسكرات، ويريدون أن يكونوا موصوفين بهذه الأمور، فهل يمكن أن تكون هذه هي الكنيسة، أو حتى كنيسة محلية توصف بأنها "كنيسة الله"؟ كلا بالتأكيد. قد تكون اجتماع مسيحيين، ولكن ليس إلى اسم الرب في وحدانية الروح، فهذا ليس في الماسونية،

ولا بمنع المسكرات، والقديسون الأمناء للرب يرفضون أن يكونوا ضمن أيهما، وإن حدث فينبغي أن يستبعدوا من الشركة، فاجتماع كهذا بالمفهوم الدقيق والكتابي هو أساسًا اجتماع طائفي حزبي، إذ قد وضعوا بينهم وبين أعضاء جسد المسيح الآخرين فاصلًا يمنعهم من الشركة والعبادة.

إن ما يُتحد كنيسة محلية بجسد المسيح ليس هو أن تكون "جماعة من الأمناء"، فقد كان هناك مثل هذه الجماعات من قديم الزمان، وأيضًا في أيام الرب على الأرض، حين لم تكن الكنيسة قد وجدت بعد، لأن المسيح لم يكن قد مات وقام وصعد إلى السماء، ولا الروح القدس نزل، حتى بالتبعية يكوِّن من المؤمنين جسدًا واحدًا. إن كنيسة من كنائس الله تتكوَّن منذ يوم الخمسين في جماعة من المؤمنين يجمعها الروح القدس حول شخص المسيح، لتعبده، وتنتظره لأجل خدمة الكلمة بالروح القدس حسبما يعطي هو في حكمته الإلهية ومحبته.

إن ما أنتج الحالة الحاضرة لشعب الله المنقسم إلى طوائف أو جماعات هو عدم الإيمان الطبيعي للقلب الذي فينا. لقد أنشأ الله حظيرة واحدة وحيدة على الأرض ليس غيرها لحماية شعبه، وهي حظيرة اليهودية. كان ذلك نظامًا محددًا إلهيًّا في وصايا خارجية، ولكنه كان يتعامل مع الإنسان في الجسد. ولكن كل شيء فسد في يد الإنسان، ولم يعد طريق لاستحضار الخاطئ إلى الله إلا أن يكون حتمًا بالنعمة، بدون بر الإنسان أو حفظه للفرائض. لذلك فإنه على خلفية رفض شعب اليهود لراعي الخراف (يو10) الأمر الذي يعتبره إنجيل يوحنا من بدايته وحتى نهايته (يو1: 11)، قاد هذا الراعي خرافه الخاصة، أي أولئك الذين آمنوا به، إلى خارج الحظيرة. وكان هناك خراف أخر، أي المؤمنين من الأمم الذين لم يكونوا أبدًا من تلك الحظيرة، كان ينبغي أن يأتي بهذه الخراف أيضًا، وتكون رعية واحدة - وليس حظيرة

واحدة [1]- وراعٍ واحد. فراعي الخراف لم يؤسس حظيرة جديدة، ولا أتى بخرافه إلى الحظيرة القديمة، بل أصبح المكان الآمن لهم أنهم سُلِّموا بيد الآب إلى يده. وإذ تتبعه الخراف، فإن لها أن تذهب إلى هنا وهناك بحرية في مراعي الحق الإلهي الحية المفتوحة. ولكن للأسف لم تسلِّم الخراف أنفسهم إلى الراعي في ثقة، فعملوا لأنفسهم حظائر لتلجأ وتحتمي فيها، فصارت هناك حظيرة البابوية، وحظيرة الأسقفية وحظيرة الوسلية وحظيرة المعمدانية والحظيرة الجامعة و... الخ، وكل منها لها حوائطها الخاصة، والحوائط التي تفصلها عن الآخرين، مقسمين خراف الرعية الواحدة. كذلك لكل منها رعاتها، وأساقفتها وشمامستها المختارون المعينون بحسب مفهومها الخاص، والذين يحسبون الرعية رعيتهم الخاصة، فيقولون عنهم "شعبي"، أو "رعيتي"، ... الخ، بالمناقضة لتحذير الله الصريح في بطرس الأولى5: 3: "وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ"، وهم لا يعترفون بأية مسؤولية من نحو الخراف الأخرى التي ليست من حظيرتهم، بل في حظائر أخرى، بالرغم من أنه في حالات كثيرة يكونون موهوبين جدًا من الله لكي يرعوا خراف وحملان رعية المسيح أينما وُجدت. فقد يكونون بالفعل من عطايا المسيح للكنيسة مثل أيٍ من الآخرين، (أف4: 8 - 14)، لأن العطايا هي للكنيسة بهذا المفهوم. فإن كانوا لا يدركون هذا المفهوم، فيحدون دائرة خدمتهم في جماعة أو طائفة، فهذا على الأقل ليس صحيحًا، ولا هذه مسؤوليتهم أمام المسيح، ولا واجبهم من نحو الكنيسة ككل، وهذا قيد خطير.

في تأسيس هذه الحظائر البشرية يقع خطأ الاستبعاد والطائفية، الأمر الذي رفضه المدعوون "إخوة". فإن كان هناك ما دعا إلى ممارسة التأديب، حتى لو أدى

[1] الترجمة العربية للعدد 16 دقيقة، ولكن الترجمة الرسمية الإنجليزية أوردتها "حظيرة واحدة" وهي ترجمة غير صحيحة.

إلى الانفصال عما نحن فيه، حتى يأخذ كثيرون الأرضية الصحيحة للكنيسة، فهذا ليس سوى لمنع ما يؤدي إلى الانشقاق، أو لاستبعاد تعليم شرير أراد البعض فرضه علينا بعد سنوات من انفصالنا عن هذه الشرور. إن ما أغلقنا عليه بنعمة الله هو هذه الشرور، ولعدم السماح بشرور أدبية عرفت لدينا. فإن استاء البعض من أنه انعزل كثيرون عما كانوا في شركة معه، أو لأنه لزم عزل آخرين بسبب خطية اللامبالاة فيهم تجاه هذه الشرور، فإننا نتأسف كثيرًا في قلوبنا، فهم الذين صنعوا الانقسام وليس نحن.

والآن دعني أسأل بكل محبة: ما هي نوعية الطعام الذي تتناوله الخراف في هذه الحظائر؟ أليس في بعض الحالات على سبيل المثال يكون الخدام فيها غير مولودين من الله، وإن كانوا لا ينطقون بتجاديف على الاسم الحسن الذي به دعينا؟ حتى حين يكونون من رجال الله ومواهب للكنيسة أيضًا كما نعرف عن كثيرين منهم، أليسوا مقيدين بقوانينهم ولوائحهم ودساتيرهم، ومجالس رئاساتهم الخاصة، التي تسمح غالبًا بكل أنواع الطقوس والفلسفة الفارغة، بل والتجاديف، وتغلق على الشهادة وعلى سلطان كلمة الله خارجًا؟ حتى الخدام في الكيانات البروتستانتية، وإن كانوا موهوبين من المسيح لكنيسته، هل هم غير مقيدين بقواعد حظائرهم وإقراراتها واهتماماتها، حتى أنهم يكونون مثل الفرس في الطاحونة؟ فهم لا يستطيعون بالتأكيد أن يخرجوا عن الدائرة المرسومة لهم، وليس لهم حرية حقيقية في المجال غير المحدود لحق الله المعلن، حتى مع أنفسهم. هذا بافتراض أنهم مخلصون لحظائرهم المعتبرة، ولإطعام القطيع الخاص بهم، والذي انتخبهم وعيَّنهم، ويدفع لهم أجورهم. إنهم لا يستطيعون أن يطعموا الخراف والحملان التي في رعية المسيح التي بينهم، بأن يقودوهم في المراعي الجيدة الدسمة التي في كلمة الله

الحية. وأكرر بكل محبة أن الخادم في طائفة حتمًا يكون خادم طائفته، وأكثر الأمناء بينهم هم في خطر أن يُحملوا بعيدًا، مثل الذين ليسوا روحانيين بالحق بينهم، بسبب الفكر السائد، ولكونهم يمثلون "مدرسة فكرية" معينة، عوضًا عن أن يكونوا مبشرين ورعاة عن الرب يسوع المسيح. وليس ما يمكن أن يحل محل الحق الكامل كما هو معلن في المكتوب، فالإنسان يحيا بكل كلمة تخرج من فم الله. قد لا نتجاهل أي جانب من الحق، أو نلقي الضوء عليه، ولكن ما أبعد أن نصل إلى مداه أو عمقه، فهو يعلن الله ذاته في وجه يسوع المسيح، وهذا ما يجعله غير محدود. أما قوانين الإيمان والاعترافات به، ومبادئ الحق الطائفية ليست سوى وسائل بشرية، وإن كانت قد وضعت بغرض أن تمنع الانحراف عن الحق، ولكنها ليست سوى تعريفات وحواجز، تأخذ مكان الحق الذي لا يمكن أن نحصره أو نحُده.

كثيرون من أولاد الله مختلطون بهذه الأمور، سواء من الخدام أو من الشعب، وهم يقصرون عن تذوق مركزهم الروحي الحلو وفهمه، ويتأرجحون بين النور والظلمة. كم أتمنى لو أننا نستطيع أن نساعد مثل هؤلاء، فهم محبوبون في قلب المسيح، ولكن التعليم التقليدي والمفاهيم الاجتماعية لها سلطان عظيم عليهم. تلك المفاهيم التي انفطرنا عليها، والتي هي الخمر العتيقة التي تخدم المذاق الطبيعي. وكما كان في أيام الرب يسوع على الأرض، هكذا اليوم ما هو من الله، ويخدم المذاق الروحي ويغذي الإنسان الجديد ليس مقبولًا، "وَلَيْسَ أَحَدٌ إِذَا شَرِبَ الْعَتِيقَ يُرِيدُ لِلْوَقْتِ الْجَدِيدَ، لأَنَّهُ يَقُولُ: الْعَتِيقُ أَطْيَبُ" (لو5: 39).

تقول كذلك إن كثيرين من البروتستانت يتبعون الرب في تطابق مع المكتوب، في تكريس ليس أقل من المدعوين "إخوة". وأنا ليس لدي حجة أو رغبة في أن أشك في

تكريس الآلاف، ولا أضع تحفظًا على كونهم في توافق مع الكلمة، ولكن أرجو أن تسمح لي لمجرد دقة التعبير أن أضيف: "على قدر معرفتهم بالمكتوب". إن التكريس دون الفهم الكامل قد يجعل القديس نشطًا، ولكنه نشاط يعوزه أن يكون منقادًا بفكر الله الذي ينبغي أن نعرفه، حتى يصون نشاطَنا من الخطأ. كان داود مدفوعًا بالتكريس عندما نوى أن يبني بيتًا لله (2أخ17) وحصل أيضًا على تأييد رغبته من ناثان النبي، ولكن كان هذا خطأً. هكذا بطرس أيضًا عندما رفض فكرة موت سيده (مت16). ومرة أخرى على جبل التجلي (مت17) كان مدفوعًا بتكريس تام للرب. ونيقوديموس ويوسف الذي من الرامة ومعهما مئة منًا من مزيج المر والعود (يو19: 39). ثم المريمات وسالومه ومعهن حنوطهن (مر16: 1). كل هؤلاء كانوا مدفوعين بتكريس قلبي لسيدهم المصلوب، ولكنهم جميعًا تصرفوا بدون معرفة لما في الكتب أنه ينبغي أن يقوم في اليوم الثالث ولا يرى جسده فسادًا. فلو فطنوا إلى هذا لما فكروا في أن يكفنوا جسده هكذا. إنني على يقين من أن تكريسًا بلا معرفة هو أفضل من معرفة بلا تكريس، ولكن كلا الأمرين لازم وأساسي إذا كنا نريد أن يكون نشاطنا لمسرة الرب.

وتسألني عما إذا كان من يقول إنه لا ينتمي إلى أية طائفة لا يصنع في الواقع طائفة جديدة. فما الذي يعنيه من كونه لا ينتمي إلى طائفة؟ بالتأكيد لا يستطيع أحد أن يدعي أن بولس كان ينشئ طائفة جديدة عندما أدان ورفض الانشقاقات التي هددت بخراب الوحدة الظاهرية للكنيسة في كورنثوس (1كو1: 10-15).

كثيرون من المسيحيين اليوم لا يتفقون مع بولس، كما لو أن ما كتبه في هذا الصدد لم يكن "مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ"، ويظنون أن الطوائف لا ينبغي إدانتها بأي حال، ولكنها حسنًا أنها تنوعت، لتكون هناك فرصة للمفاضلة! وبهذا هم يبررون أنفسهم.

وآخرون يقفون عند حد الاعتراف بأن الأمور عامة ليست على ما يرام، ولكن للأسف يزعجهم صراع الطوائف فقط، وليس وجودها. **مثل هؤلاء لا يرقون إلى فكر المسيح، إذ هم ينكرون عمليًّا تعليم كلمة الله بهذا الخصوص، فيغمضون أعينهم عن خطية الطائفية ذاتها، ويقنعون أنفسهم بأن يقبلوا الاختلاف، وأنهم لكي يمارسوا المحبة والشركة مع كافة الطوائف يجب أن يكونوا لا طائفيين.** ولكن ليس هناك ما يتناقض مع احترام الحق أكثر من هذا (1كو1: 13-13؛ في3). هذا ليس سوى عبادة للإنسان، وإرضاء الناس أكثر من الله. **هذا هو التأثير المدمر للبرالية التي تسود اليوم، والتي تسعى لتسطيح كل ما له صفة الحق الإلهي والسلطان الإلهي**، لتمهد طريقًا مستويًا أمام الإرادة الذاتية. فمن يظن أنه لا طائفي يخطئ في ظنه، وكم هو محزن أن كثيرين من الناس وقعوا في خدعة العدو هذه، فيا ليتهم يعيدون التفكير في أنفسهم، ويتأملون الأرضية التي يقفون عليها، والمؤثرات التي ذهبت بهم إلى هناك. فأن تكون بلا طائفة هو أن تكون على الأرضية التي وضع العهد الجديد المتجددين المسيحيين عليها، وهي الاجتماع معًا إلى اسم الرب يسوع المسيح، فهي أرضية تتسع لكل المؤمنين باسمه إن هم أرادوها، ولكنها تستبعد أي سماح بالشر في التعليم أو السلوك، لأن هذا يكون مضادًا بصفة مطلقة لهذا الاسم المقدس المبارك، كما تستبعد بالضرورة كل اسم آخر، أو طائفة أو مركز اجتماع، فهذه "اسم آخر". يستبعد المؤمنين بالرب يسوع المسيح، الذين من أجل الضمير لا يستطيعون الاعتراف بهم، سواء كان هذا المركز بديلًا عن، أو مضافًا إلى، المركز الواحد والوحيد الذي تعترف به كلمة الله كمركز الاجتماع، ومركز الشركة والتلمذة.